حكايات ألف ليلة

19

الأخ الحالم



بقلم : أ. عبد الحميد عبد المقصود
رسوم : أ. إسماعيل دياب
إشراف : أ. حمدى مصطفى

المؤسسة العربية الحديثة

تابعَ الْخيّاطُ المتَّهمُ بقتلِ مُهرِّجِ ملكِ الصِّينِ الأحْدبِ ، حكايةَ حلّاقِ (بغْدادَ) وإخوتِه للملكِ قائلاً :

ـ لمّا رأى الْخليفةُ إصرارَ الْحلّاقِ على الْبقاءِ ، حتّى ينْتهي منْ سرْدِ حكاياتِ إخْوتِه واحداً وراءَ الآخرِ ، ضحكَ وقالَ :

بخُرافةٍ منْ منْ خُرافاتِ إخْوتِكَ التعساءِ ستشنِّفُ أسْماعنا الْيومَ ؟!

فقالَ الْحلاقُ :

ـ بحكايةِ أخي (حالمٍ) وهوَ أخي مقْطوعُ الشَّفتيْنِ ..

فقالَ الْخليفةُ :

ـ على بركةِ اللّهِ ابْدأْ في ثرْثرتِكَ ، حتى تُصدّعَ أدْمغتنا ..

فبدأَ الْحلاقُ يحْكي حكايةَ أخيه (حالمٍ) قائلاً :

ـ كانَ أخي (حالمٌ) رجُلاً فقيراً ، يسألُ النّاسَ ليْلاً ، وينْفقُ ما يُحصِّلُهُ نهاراً .. وكانَ والدُنا فقيراً ، فلمّا ماتَ تركَ لنا سبْعمائةِ درهمٍ ، فأخذَ كلٌّ واحدٍ منّا نحنُ السَّبْعةَ مائةَ درْهمٍ . فلمّا أخذَ أخي (حالمٌ) نصيبهُ ، قرّرَ أنْ يُتاجرَ بها في الزّجاجِ ..

وهكذا اشْترى أخي (حالمٌ) بدراهمهِ كلِّها زجاجاً ، فوضعهُ فوقَ قفصٍ مُسْتنداً بظهْرِه إلى حائطٍ ، ليبيعهُ ..



وبَيْنَمَا هو جالسٌ راحَ ينْظُرُ إلى الزُّجاجِ حالِمًا بثَرْوَةٍ ، فقالَ فى نَفْسِه : إنَّ رأْسَ مالِى فى هذا الزجاجِ مائةُ درهَمٍ .. الآنَ أَبيعُهُ بمائَتَىْ دِرهَمٍ ، ثم أَشْتَرى بِها كلَّها زُجاجًا ، فأَبيعُهُ بأَرْبَعمائَةِ درهَمٍ .. وهكذا أَظَلُّ أَبيعُ وأَشْتَرى مُتَاجرًا فى الزجَاجِ ، حتى يكُونَ عندى مالٌ كثيرٌ .. فأَشْتَرِى دارًا حَسَنَةً ، وأَشْتَرِى الْخيْلَ والسُروجَ الْمذَهَّبَةَ ، ويكونَ عِنْدى عَبيدٌ وجَوارٍ كثيرُونَ ،

وأَصير أَغْنَى رجُلٍ فى الْمدينَة ، فأَخْطُب بنْتَ الْوَزيرِ ، فقدْ بلَغنِى أنَّها أَجْملُ بنات هذا الزَّمانِ ..

وسَوْف أَشْترى لى كُسْوَةَ الْملُوكِ ، وأَرْكَبُ بغْلَةً عليها سَرْجٌ من الذَّهب الْمرصَّعِ بالْجواهرِ ، وأَسيرُ إلى الْوزير وحولى الْخدَمُ والْعَبيدُ ، حتى أَصلَ إلى الْوزير فإذا رآنى فى موْكِبِى قام لى إجْلالاً ، وأَقْعدَنى مكَانَهُ ، لأَنَّنى أَغْنَى منه ..

وسوْفَ يكونُ معى خادمَيْن يحْملُ كلٌّ منهما كيساً به أَلْفُ دينارٍ ذهَبًا ، فأُعطيه أَلْف دينارٍ مَهْرَ ابْنَته ، وأُهْدى إلَيْه الأَلْفَ الثانى إنْعامًا منِّى عليْه ، حتى يظْهَر لهُ فضْلُ مروءَتى وكَرَمى ، وحقَارَةَ الْمالِ فى عَيْنى .. ثم أَعُودَ إلى دارى الْفاخِرَةَ ، فإذا زارَنى أَقْرباءُ زوْجتى أَغْدَقْتُ عليْهمُ الأَمْوال والْهدايا ، حتى يعْلَمُوا منزلَتى وقَدْرى ويتحدَّثُوا عنْ بذْخِى وكَرمى .. فإذا فعلوا ذلكَ أَمَرْتُهُمْ بزِفَافِ زوْجتى إلىَّ ..

فإذا جاءُوا بها فى حُلِيِّها وحُلَلِها ، وهى كالْبَدْرِ فى ليْلَةِ تَمامه ، تركْتُها واقفَةً دُونَ أَنْ أَنظُرَ إليْها ، وأَنا جالسٌ ومُتَّكِئٌ علَى مخَدَّةٍ من ريشِ النَّعامِ ، مُزَرْكَشَة بالذَّهب ، فيَرجُونى الْجميعُ أَنْ أَتعطَّفَ عليْها بنَظْرةٍ ، أَوْ أُكلِّمَها ،



بكَلمَةٍ حتى لا أكْسِرَ خاطِرَها .. وهكذا يستمرُّ وقوفُها بين يدىَّ طويلاً ، حتى تعلَم هى وأهلُها مدى منزِلَتى .. ثم أرمى كيساً به خمسُمائة دينارٍ ذهباً للماشطات وأصرِفُهنَّ ، فتبقى زوجتى واقفةً بين يدىَّ تنتظرُ الأذْنَ بالجلوسِ ، فأطلُبُ منها أنْ تُحضِرَ لى كُوبَ ماءٍ ، فإذا أحضرتْه تركتُها واقفةً به طويلاً ، حتى تقولَ : لقدْ جاءتْ جاريتُك بالماءِ ، فلا تردَّها به .. وتقرِّبُه من

فَمى لأَشْرَبَ ، فأرفُسهُ وأقْلِبُه من يدِها هكذا ..

واستمرَّ الْحلاقُ فى حِكايةِ أخيهِ (حالمٍ) قائلاً :

ـ ونَسِىَ أَخى (حالم) فى غَمْرةِ انفعاله ، أنَّهُ شاردٌ فى أفْكاره الْبَلْهاء ، وأنَّ قفصَ الزُّجاجِ أَمامَهُ ، فرفَسهُ رفسةً قويَّةً برجْله ، فانْقلبَ الْقفصُ ، وتطايرَ الزُّجاجُ فى كلِّ مكانٍ ، مُتحطِّماً إلى شظايا .. وهكذا حطَّم أَخى رأْسَماله وأَضاعهُ بغَبائه وبلاهته ، فأَخذَ يلْطُمُ وجْههُ ، ومزَّقَ ثيابهُ ، ثم أَخذَ يبْكى ..

وأَخذَ النَّاسُ يمُرُّونَ به ، دُونَ أنْ يفكِّرَ أَحدُهمْ فى مواساتهِ أَوْ مُساعدَتهِ على هذا الْمُصابِ ، الذى أَلمَّ به ..

وبيْنَما هو جالسٌ يبْكى على حُمْقه ومُصيبته ، مرَّتْ به سَيِّدَةٌ صالحَةٌ ترْتدى ملابسَ فاخرةً ، وحولها عددٌ من الْجوارى والْخدمِ ، وكانَ من الْواضحِ أنها سيِّدةٌ ثريَّةٌ ، فلما رأَتْهُ وهو يبْكى نادبا حظَّهُ الْعاثرَ ، أَشْفقتْ عليْه ، واقْتربتْ منْهُ ، فسأَلتْهُ عنْ حاله ، وعنْ سببِ حُزْنه وبُكائه ، فقالَ لها إنَّ رأْسَماله ، الذى كانَ يتعيَّشُ منْهُ قدْ تحطَّمَ وضاعَ كُلُّه فى لَحْظَةٍ منْ لحظَاتِ الْغَفْلَةِ ، فأَشارتْ تلْكَ السيِّدةُ إلى



حامِلِ أمْوالِها قائِلَةً : أَعْطِ هذا الْمِسْكينَ كلَّ ما معكَ منْ مال ..
فدفعَ إليهِ الرجُلُ كيساً به مالٌ ، وانْصرفَتِ السيِّدةُ مع خدمِها ..

أسْرعَ أخي بفتْحِ الْكيسِ ، فوجَدَ به خَمْسمائَةِ دينارٍ ذهباً ، فلمْ يصدِّقْ نفْسَهُ ، وكادَ يُغْمى عليْهِ من الْفرحِ ..

وهكذا تحوَّلَ أَخي (حالِمٌ) في لَحْظَةٍ منْ فقيرٍ مُعْدمٍ ، إلى غنيٍّ يمْتَلِكُ خَمْسمائَةَ درهمٍ ..

وعادَ أخي إلى منزلِه بعدَ أنْ أشاعَ في الحيِّ كُلِّه أنه أصبحَ ثريًّا يمتلكُ خمسمائة دينارٍ ذهبًا ، فلمْ يتركْ إنسانًا يعرفُه أو لا يعرفُه ، إلاَّ وثرثرَ معه ، وحكى له ما حدثَ ، أو أراه الْكيسَ الذي به الدنانيرُ الذهبيَّةُ .. وكانتْ ثرثرتُه هذه منَ علاماتِ حمْقه ، التي جرَّتْ عليْه المصائبَ ، وكلُّ ما حدث له بعدَ ذلك ..

فلمْ يكدْ أخي الثرثارُ (حالمٌ) يعودُ إلى منْزِله ، ويجلِس فرحًا بالنقودِ - وكان ذلك قبلَ المغربِ بقليلٍ - حتى سمِعَ طرقًا على بابِ المنزِل ، فلمَّا فتح البابَ فُوجِئَ بسيِّدةٍ عجوزٍ طاعنةٍ في السِّنِّ ، وبرغمِ أنَّ علاماتِ الصلاحِ كانتْ غيرَ باديةٍ على وجهِها ، إلاَّ أنها بادرتْه بقولِها : يا ولَدى ، لقدْ كادَ المغرِبُ يؤذَّنُ له ، وحتى الآنَ لمْ أُصلِّ الْعصرَ .. اكسبْ فيَّ ثوابًا وأحضرْ لي ماءً حتى أتوضَّأَ وأُدْرِكَ صلاةَ الْعصرِ قبلَ أنْ تفوتَني ..

فقالَ لها أخي : حاضرٌ يا أُمَّاهْ ..

وأحضرَ لها ماءً فتوضَّأتْ ، ثم انتحَتْ في رُكْنٍ وصلَّتِ الْعصرَ ، وكانَ أخي طائرًا من الْفرحِ بالثروةِ التي هبطتْ عليْه ..



فلمَّا انْتهَتِ الْعجوزُ منْ صَلاتِها اتَّجهتْ إلى أخى ، وراحَتْ تدْعُو لهُ بالْخيرِ ، فأشْفق أخى عليْهـا ، وأَخْـرجَ مِنَ الْكيسِ دينارَيْنِ ، فـقـدَّمهـمَـا لهـا ، شاكرًا إيَّاها ، فـضحكَتِ الْعجوزُ وقالتْ : إنى لأعْجبُ منْ تلكَ السيدَةِ الْجميلَةِ الصَّالحَةِ ، التى أحَبَّتكَ وأنْتَ صُعلوكٌ ، وتَتمنَّى أنْ تكونَ لكَ زوْجَةً ، وبرغْمِ ذلكَ فأنْتَ غافِلٌ عنْها . .

وردّتْ إليه الدينارين قائلةً : خذْ مالَك ، وإنْ كُنْتَ غير مُحتاجٍ إليه ، فأعده إلى صاحبته ، التي أعطتْك إيّاه ، بعد تكسُّر زُجاجِك ، وضياعِ رأْسمالك . .

فلما سمع أخي ذلك ، قال لها : ،كيف الْوصُولُ إليها يا أُمّي ، حتى أتزوّجها ؟!

فقالتْ الْعجوزُ في دهاء : أنا أُوصلُك إليها ، وأتوسّطُ لك عنْدها ، حتى تتزوّجها . . أَحْضر كلّ هذا الْمالِ معك ، حتى تُظْهر لها أنها أَهمّ عندك من الذّهب . .

وسكت حلاّقُ (بغْداد) قليلاً ، ثم واصل حديثهُ قائلاً للْخليفة :

ـ وهكذا وقع أخي بغبائه وثرثرته في الْفخّ ، الذى نصبته له الْعجوزُ الْماكرةُ بدقّةٍ وإحْكامٍ ، فحمل كيس الدّنانيرِ وسار معها ، حتى وصلا إلى بيْتٍ كبيرٍ ، فدقّت الْعجوزُ الْباب بطريقةٍ معيّنةٍ ، ففتح الْباب وظهرتْ خادمةٌ روميّةٌ ، فلما رأت الْعجوز أفسحتْ لها الطّريق ، فدخلتْ هي وأخي ، حتى وصلا إلى قاعةٍ فسيحةٍ مؤثّثةٍ بفاخرِ الأثاث ، وقالتْ لأخي : انْتظرْ هنا ، حتى أُعْطي صاحبةَ الدار خبرًا بوصولنا . .



فَجلسَ أَخى ينْتَظرُ ، ومعهُ كيسُ الدَّنانير .. وبعْدَ قليلٍ جاءتْ جاريَةٌ فى غَايةِ الْحُسْنِ والْجمَالِ ، فلمَّا رآها أخى نهضَ واقفًا وقالَ لها : أيْنَ سيِّدةُ الدَّارِ ؟

فقالتْ له : انْتَظرْ هنا وهى قادمَةٌ حالاً ..

فجلسَ أَخى ينتظرُ ، وما هى إلاَّ دقائقُ ، حتَّى دخلَ عليْه الْغرْفَةَ عبْدٌ أسْودُ شاهرًا سيفَهُ وصاحَ فى غَضبٍ :

وَيْلَكَ أَيها الْأَحْمقُ ، مَنِ الذى جاءَ بكَ إلى هُنا ؟!

وقَبْلَ أَنْ يفتحَ أَخى فمَهُ ليتفوَّه بكلمَة ، أَخذَ العَبْدُ يضْربهُ بصَفيحَةِ السَّيْفِ على كُلِّ مكانٍ فى جسْمه ، حتى سَقطَ أَخى الْمسْكينُ على وجْهه وقدْ ملأَت الْجروحُ جسْمهُ ، وأَخذَ الدَّمُ ينْزِفُ منه ، ثم فقدَ الْوعْى تماما ، فظنَّ الْعبْدُ أَنه ماتَ ، وصاحَ صَيْحةً عظيمةً ارْتجَّ لها الْمكانُ .. ثم قالَ : أَيْنَ الْمليحةُ ؟

فأَقْبلَتْ جاريةٌ تحْملُ طَبقًا فيه ملْحٌ ، فأَخذتْ تحْشُو الْجروحَ التى فى جسْمِ أَخى ، حتى تقرَّحتْ ، وبرغْمِ الأَلَمِ الشَّديدِ الذى أَحْدثَهُ الْملْحُ فى جسْمِ أَخى ، إِلاَّ أَنهُ لمْ يتحرَّكْ ، حتى لا يظُنَّ الْعبدُ أَنه ما زالَ حيًّا فيقْتلَه ..

فلمَّا انْتهَت الْجاريةُ من عَمَلِها صاحَ الْعَبدُ صيْحةً مدوِّيةً وقالَ : أَيْنَ الْعجوزُ ؟

فحضَرت الْعَجوزُ فى الْحالِ ـ وكأَنَّها مُتعوِّدةٌ على ذلك باستمْرارٍ ـ فقامتْ بجَرِّ أَخى من رِجْليْه ، حتى أَدْخلتْهُ فى سرْدابٍ طويلٍ مُظْلمٍ ، ورمتْهُ فوْقَ مجموعةٍ من الْجُثث ، فمكَثَ فى مكانه داخلَ السِّرْدابِ يومينِ وليْلتينِ ، وقدْ جعلَ



اللهُ (تعالَى) ذلكَ المِلحَ سببًا لِحياته لأنهُ كوَى الْجرُوحَ ، وأَوْقفَ نَزيفَ الدَّمِ ..

وفى الليلَةِ الثَّالثَةِ أَحَسَّ أَخى فى نَفْسِه الْقُدْرَةَ على الْحركَةِ ، فزحَفَ فى الظَّلامِ ، حتى غادَرَ السَّرْدابَ ، واخْتَبأَ فى رُكْنٍ بالْمنزلِ ، حتى فتَحَت الْعجوزُ الْبابَ فى الصَّباحِ ، وخرجَتْ مِنْ أَجْلِ إِحْضارِ صَيْدٍ آخرَ لِسَرِقَةِ نُقُودِهِ ، فانْتَهزَ الْفُرصَةَ وغادَرَ

الْبَيْتَ ، حَتَّى وَصَلَ إلى بَيْتِهِ ، فأَخذ يُعَالِجُ نفسَهُ مِنْ جِرَاحِهِ ، حتى شَفَاهُ اللَّهُ ..

ومُنْذُ ذلكَ الْيَومِ أَخذَ أَخِي يُراقِبُ الْعَجوزَ ، ويُراقِبُ بيتَ هَؤُلاءِ اللُّصوصِ ، حتى قرَّرَ أَنْ يَضْرِبَ ضَرْبَتَهُ ضِدَّ هؤلاءِ اللُّصوصِ ..

وقدْ ساعدَتْهُ حِيلَتُهُ التى لَجأَ إِلَيْها على تنفيذ خطَّته ..

تَنَكَّرَ أَخى فى ثِيابِ رَجُلٍ ثَرِىٍّ من الرُّومِ ، وأَخْفَى سَيْفَهُ تَحْتَ ثيابِه ، وأَحْضَرَ كيسًا ملأَهُ بالزَّلَطِ ، ثم شَدَّهُ فى وسطِه ، وظلَّ يُراقِبُ مَنْزِلَ اللُّصوصِ ، حتى رأَى تلكَ الْعَجوزَ خارِجَةً مِنَ الْبَيْتِ ، فقالَ لها : أَنا غريبٌ عن بغْدادَ يا أُمِّى ، ومعى أَلْفُ دينارٍ ذهبًا أُريدُ وزْنَها ، فهلْ تعرفينَ أَحدًا عنْدَهُ ميزانٌ يَزِنُ أَلْفَ دينارٍ .. فلما سَمِعَتْ منهُ الْعَجوزُ ذلك فرِحَتْ وقالَتْ : لِى ولَدٌ يعْمَلُ صرَّافًا ولَدَيْهِ كلُّ أَنْواعِ الْموازِينِ ، فتعالَ معى ، وأَنا أَطْلُبُ منه أَنْ يزِنَها لك ..

وما حدَثَ بعْدَ ذلكَ هو أَنَّ الْعَجوزَ الْماكِرَةَ أَدْخَلَتْهُ الْمنزِلَ ـ كما حدَثَ فى الْمرَّةِ السَّابِقَةِ ـ وجاءَ الْعَبْدُ شاهِرًا سَيْفَهُ ،



فغَافَلَهُ أَخي وعاجلَه بضربةٍ وقتَلَهُ .. ثم صرخَ صرْخَتَهُ الْمَدوِّيةَ قائلاً : أَيْنَ الْمليحةُ ؟!

فجاءَتِ الْجاريَةُ ومعها طبَقُ الْملْحِ ، فلمَّا رأَتِ السيْفَ بيدِ أَخي ولَّتْ هاربَةً مِنَ الْمكانِ .. ونادَى أَخي الْعَجوزَ فجاءَتْ ، فلما رأَتْ أَخي والسَّيْفُ بيَدِهِ صرخَتْ فزِعَةً ، وعَرَّفَها أَخي بنَفْسِهِ ..

ثم قامَ أَخى بتقْييدِ الْعَجوزِ والْجارِيَةِ وجَميعِ منْ فى بيْتِ اللُّصوصِ ، وذهبَ إلى رئيسِ الشرْطَة فأَخبرَهُ بكلِّ ما حدَثَ لهُ مع هؤُلاء اللصوصِ ، فألقَت الشرْطةُ القَبْضَ على الْعَجوزِ والْجارِيَة ، وأَخَذَتْ ما فى الْبَيْتِ منْ أَمْوالٍ وذهَبٍ ، فرَدَّتْ لأَخى نقُودَهُ وعليْها أَضْعافُها ..

وهكذَا كادَ أَخى (حالِمٌ) يموتُ بسَببِ ثَرْثرتِه معَ كلِّ منْ يَعْرِفُ أَو لا يعْرِفُ ..

واخْتتمَ حلاَّقُ (بَغْدادَ) كلامَهُ معَ الْخليفة قائلاً :

ـ وهكذا ترَى يا موْلاىَ أَنَّنى أَقَلُّ إِخْوتى ثرْثَرةً وفُضُولاً ..

فضَحكَ الْخليفَةُ وقال :

ـ الآنَ خُذْ هذه الصُّرةَ منَ النُّقودِ وانْصَرِفْ ..

فصاحَ الْحلاَّقُ فزِعًا :

ـ واللَّهِ لا أَرْحَلُ حتى أَحْكِيَ لكَ بقِيَّةَ قصَصِ إِخْوتي ..

(يتبع)

رقم الإيداع : ١٧٤٥٣ / ٢٠٠٦

الترقيم الدولي : ٩٧٧ - ٢٦٦ - ٧١٥ - ٠